ألقاب الشرف والتعظيم
عند العرب
للأب أنستاس مارى الكرملى

— ٤ —

٩ — القيصر

هذه الكلمة واضحة الأصل اللاتينى وهو Caesar ، وكثيراً ما ينقل الحرف C إلى القاف العربية أو الكاف ، والحرف S إلى السين أو الصاد العربيتين . وأما قول القلقشندى فى صبح الأعشى (٥ : ٤٨٢) : « وأصل هذه اللفظة فى اللغة الرومية (جاشر) بجيم وشين معجمة فعربتها العرب (قيصر) » فغير صحيح ألبتة ؛ لأن (القيصر) بهذا التعريب أقدم من تعريبها بصورة (جاشر) فهذه بالنسبة إلى تلك محدثة ، وقد قيل أو يقال اليوم (جيزر) وتلفظ Tchézar بالأحرف الإفرنجيه المصرية . وأما الرومان الأقدمون فكانوا يقولون Késar والسين تلفظ سيناً صريحة لا زايا كما يلفظونها اليوم ، إذا وقعت بين حرفين مليين . وكذلك كان الرومان يقولون فى أول الأمر Iesu (ييسو) لا (يزو) ولا (يشو) . وكانوا يقولون (ألياقيم) Eliacim لا (الياجيم) ولا (الياشيم) ولا (الياسيم) . وأما قولهم اليوم (أليأچيم) بالجيم المعقودة ، فمحدث بالنسبة إلى قولهم القديم (أليأقيم) أو (أليأكيم)

وأما متى أبدلوا اللفظ الواحد من اللفظ الآخر ، فحدث رويداً رويداً ، ومن شخص نافذ الكلمة إلى شخص دونه ، ومن بلد إلى بلد حتى عم اليوم البلاد الإيطالية كلها . وأما علماء ألمانية فيعودون إلى لفظ C كافاً حيثما وقعت بدون أدنى تغيير ، فيقولون (كيكرو) ولا يقولون (شيشرو) ولا (جيجرو) ولا (سيسرو)

ومن الغريب أن العرب تبعت لفظ الرومان فى عصرهم ، فكان اللفظ القديم (قيصر) ثم صار (شيزر) ، فقالوا : (قلعة شيزر) ولم يقولوا : (قلعة قيصر) وهى Césarée والآن صاروا يقولون (جيزر) ولفظها القلقشندى (جاشر) وهو لفظ لا ينطق به أحد ، لأنه كثيراً ما يصحف الألفاظ الأعجمية فيجعل سينهم شيناً معجمة ، ويجعل الجيم المثلثة المعقودة جيما عربية أو جيما مصرية . وكل ذلك خطأ

وقال القلقشندى بعد ذلك : « ولها (أى لكلمة قيصر) فى لغتهم معنيان : أحدهما الشعر ، والثانى الشىء المشقوق » اه

قلنا : اللفظة التى تدل على شعر الرأس عند الرومان هى Caesaries (قيصريس) لا Caesar (قيصر) كما توهمه القلقشندى . فيحتمل أن يكون السبب لتسمية (قيصر) هو ما يقوله ، نقلاً عمن سمع عنه

وقال القلقشندى بعد ذلك : « واختلف فى أول من تلقب بهذا اللقب منهم : فقيل أغانيوش[1] أول ملوك الطبقة الثانية منهم . سمى بذلك لأن أمه ماتت وهو حمل فى بطنها فشق جوفها وأخرج فأطلق عليه هذا اللفظ ، أخذاً من معنى الشق ؛ ثم صار علماً على كل من ملكهم بعده . وقيل أول من لقب بذلك يوليوش[2] الذى ملك بعد أغانيوش المذكور . وقيل أول من لقب به أغشطس[3] . واختلف فى سبب تسميته بذلك ، فقيل : لأن أمه ماتت وهو فى جوفها فشق عنه وأخرج ، كما تقدم القول فى أغانيوش . وقيل لأنه ولد وله شعر تام فلقب بذلك ، أخذاً من معنى الشعر كما تقدم . ولم يزل هذا اللقب جارياً على ملوكهم ، إلى أن كان منهم هرقل الذى كتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم » اه

قلنا : إن الذى عندنا أن قيصراً سمى كذلك من معنى الشعر لا من معنى البقر (أى شق البطن) ، لأن أول من سمى بقيصر لم يكن خشعة (أى مخرجاً من بطن أمه ببقره) . بل كان مولوداً وعلى رأسه شعر ، وهو أكتافيوس أو أكتابيوس . هذا فضلاً عن أنه لو كان خشعة لسماه السلف (خشعة) لأن هذه الكلمة معروفة عندهم ، وما كانوا سموه (قيصراً)

---

(١) ليس فى أعلام القياصرة من هو بهذا الاسم ، بل أول من سمى بقيصر هو (أكتافيوس) Octavius ونظن أن الكلمة مسخة تصحيف خط لكلمة (أفتابيوس) بجعل الكاف غيناً والفاء باء موحدة تحتية وأمثاله كثيرة عندهم .

(٢) صوابه : يوليوش .

(٣) صوابه : أوغسطس .

١٠ — الأطربون

قال فى تاج العروس فى مادة (ط ر ب) : والأطربون[1] : البطريق . كذا فى شرح أمالى القالى . وحكى عن ابن قتيبة : أنه رجل روى . وذكره الجواليقى . وقال ابن سيدة : هو الرئيس من الروم . وقال ابن جنى فى حاشيته : هى خماسية كعضرفوط فعلى هذا وضعه النون والهمزة، والصواب : أن وزنه أفعلون من الطرب . وهذا موضع ذكره استدركه شيخنا » انتهى

قلنا : الأطربون غير البطريق ، وكان فى أول أمره : حاكم القبيلة ، ثم جعل حاكما على الجند فحاكما عليهم مع سلطة هيباط . ولو اتخذ عبارة اللسان لكان له أحسن . فقد قال ابن مكرم : « الأطربون : من رؤساء الروم وقيل : المقدم فى الحرب ، وقال عبدالله بن سبرة الحرشى :

فإن يكن أطربون الروم قطّعها، فإن فيها بحمد الله منتفعا

قال ابن جنى : هى خماسية كعضرفوط » اهـ

قلنا : وأما ما حكى عن ابن قتيبة أنه رجل روى ، فليس من الموضوعات، فقد كان رجل اسمه (اطربونو) Tribuno (Pietro) وكان الدوج السابع عشر للبندقية توفى سنة ٩١٢

وأما قولهم هو الرئيس من الروم ؛ فكلام لا يحصل منه شىء . فالرؤساء طبقات . وهناك رؤساء مدنيون وعسكريون وروحانيون وأصحاب مهن إلى ما شابهها . فقولهم هو الرئيس من الروم كلام مبهم ؛ والأحسن ألا يذكر مثل هذا التعريف الخالى من حلية تحليه

وقول ابن جنى أنه خماسى هو القول الحق الذى لا ريب فيه

وأما قول الشارح : أن وزنه أفعلون من الطرب ، فالقسم الأول من عبارته صحيح ، أى أن وزنه أفعلون . وأما القسم الثانى أنه من الطرب ، فهو الخطأ بعينه ، لأن الكلمة ليست عربية بل هى رومية (لاتينية) Tribunus ومعناها فى الأصل : حاكم القبيلة كما قلنا . وهل يعقل أن الرومان يسمون رئيساً من رؤسائهم المدنيين باسم عربى ؟ فهذا لا يعقل . فوضع ذكره إذن فى (اطرب ون) ، لأن جميع أحرف الكلمة الدخيلة أصول كما اتفق عليه جمهرة اللغويين بلا شاذ واحد

١١ — الفرناس

١٢ — البرنس

وهو البدء عند العرب ؛ والفرسان تعريب فرنـ[ـس]ا[ب]س Princeps . ونقل الحرف الإفرنجى P إلى الفاء أو الباء ، أشهر من أن يذكر . وكان حق السلف أن يقولوا فيها (فرنكابس) لكنها ثقيلة وليس لها وزن عربى تخففوها وحملوها على مركب عربى ليرحب بها أهل الذوق السليم . ولم يذكر أحد أنها معربة . وهى فى لغة الرومان تفيد « الأول فى قومه »

والظاهر أن بنى عدنان لم يعرفوا معناها حق المعرفة لأسباب ، منها :

أنهم ذكروها فى مادة (ف ر س) إعتقاداً منهم أنها عربية النجار .

أنهم ذكروا لها معانى قاربوا فيها الحقيقة لكنهم لم يصيبوها ، فقد شرحوها بقولهم : « الفرناس كقرصاد : رئيس الدهاقين أو القرى . عن ابن خالويه ... والأسد الضارى ، وقيل الغليظ الرقبة .

وقال ابن خالويه : سمى الأسد فرناساً ، لأنه رئيس السباع ، ونونه زائدة عند سيبويه ، كالفُرانس بالضم . والفرناس أيضاً : الشديد الشجاع من الرجال ، شبه بالأسد . قال النضر فى كتاب الجود والكرم : والفِرْنَوس كفِرْدَوْس من أسماء الأسد . حكاه ابن جنى وهو بناء لم يحكه سيبويه ، وأسد فرانس كفرناس قُمائل ، وهو مما شذ من أبنية الكتاب » أهـ

فالكلمة إذن عرّبت على صور مختلفة ، واختلاف اللغات آت من عجمة اللفظة ، وسمى العرب الأسد (فرانس) و (فرناس)

(١) فى النسخة المطبوعة التى بيدنا « وأطرابون » (بألف بعد الراء) والصواب ما ذكرناه فى المتن أى : والأطربون ، بال وبعدها ألف بعد الراء . لأنه شرحه بقوله : البطريق . أى معرفا بأل . فيجب أن تكون الكلمتان المفسرة والمفسرة من جنس واحد ، إما تكونا نكرتين وإما تكونا معرفتين .

و (فرنوس) لأنه الأول بين السباع كما قال ابن خالويه ، وكما يقول الفرنسيون : Le lion est le roi des animaux

وكتاب العرب نسوا ما عربه السلف فنقلوا اللفظة الإفرنجية بلا أدنى تغيير في عهد العباسيين ، فسموا الفرناس « برنس » نقلاً عن الفرنسية Prince والذين نقلوا هذا اللفظ بهذه الصورة هم جميع المؤرخين الذين دونوا الوقائع في القرون الوسطى . وإذا عذرنا الجميع من هذا التعريب الحديث فلا نعذر ابن شداد قاضي حلب صاحب كتاب النوادر السلطانية ، في المحاسن اليوسفية ، فقد قال في حوادث سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) : « إن البرنس صاحب أنطاكية ، خرج بعسكره نحو الفرايا[1] الإسلامية » اهـ

فنستنتج من هذا : أن العرب كانوا يتصرفون في اللفظة الواحدة على مناح شتى ، اعتماداً على ما يسمعونه في عصرهم وبلادهم لا على ما نقله أجدادهم ، ولا على ما يرونه مدوناً في دواوين من تقدمهم من السلف ، بل يعتمدون على لغة الأقوام الذين يطوون بساط أيامهم بين ظهرانيهم . فإذا سلمنا بهذا ، عذرنا ابن شداد نفسه لجريه على هذا المنحى من صنع الناطقين بالضاد

وهل تعلم ما كان اسم البرنس عند بني مُضر في أقدم الزمان ؟ كانوا يسمونه (البدء) أي الأول وهو معنى البرنس الأجنبية . والدليل على ذلك ما ذكره ابن خلدون في كتابه العبر ، وديوان المبتدأ والخبر (٢ : ٢٦٣ من طبعة بولاق) : « ولما هلك عمرو ابن عدى ، ولي بعده على العرب ، وسائر مَنْ ببادية العراق ، والحجاز ، والجزيرة ، امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ، ويقال له (البدء) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر ، وعمال الفرس » اهـ ، وكانت وفاته في نحو سنة ٣٣٨ للميلاد . فالبدء إذن قديمة بمعنى البرنس

وكلام ابن خلدون هذا مقتبس من تاريخ الطبري (١ : ٨٣٣ وما يليها) : « وكان من عمال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن سابور ، بعد مهلك عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة على فُرَج العرب من ربيعة ، ومُضَر ، وسائر من ببادية العراق ، والحجاز ، والجزيرة يومئذ ، ابنُ لعمرو بن عدى ، يقال له (امرؤ القيس البدء) [1] ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة ، وعمال ملوك الفرس . وعاش فيما ذكر هشام بن محمد ، مملكا في عمله ، مائة سنة وأربع عشرة سنة » اهـ.

وفي التاج : « البَدْء : السيد الأول في السيادة . والثِّنْيان الذي يليه في السُّؤْدَد . قال أوس بن معرّى السعدي :

« ثنياننا إن أتانا كان « بَدْءهم »

و « بدءهم » إن أتانا كان ثِنْيانا » اهـ

فلم يبق شك في أن (البدء) يقابل البرنس Prince عند الأفرنج والثنيان يقابل الدُّوق Duc عندهم .

(له صلة)

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

(١) كذا وهو يريد القرى . وقد وردت في كتب كثير في الوجهين ولها وجه صحيح ، لأن فعلة قد جاءت على فعائل في كثير من الألفاظ ، خلافاً لما أنكره النحاة ، وقد جمعنا منها شيئاً كثيراً ؛ على أن الأفصح هو أن القرى جمع قرية

(١) سماه خير الدين الزركلي في معجمه (الأعلام) ١ : ١٢٧ : « امرؤ القيس الأول » . وهذا غير صحيح . لأن الأعلام والألقاب تروى كما وردت ولا يحق لنا أن نغيرها . وقد أصاب العلامة يوسف رزق الله غنيمة في إبقاء هذا اللقب على أمريء القيس (في كتابه الحيرة ص ٣١ وما يليها) .